التّغيّرات الصّرفيّة وأللفاظ الفرشيّة في قراءة البصريّين

-أبو عمرو بن العلاء ويعقوب الحضرميّ.

Morphological changes and verbal expressions in visual reading

Abu Amr bin AL-Alaa and Jacob AL-Hadrami

أ. بن فطة عبد القادر♥

المُعرّف الرّقميّ للمقال: DOI 10.33705/0114-026-067-001

تاريخ الاستلام: 23-08-2023 تاريخ القبــول: 31-07-2024

ملخّص: من قراءة دقيقة للحركة القرائيّة نجد أنّ البصريين رغبوا في أن يظهر قراؤهم ذوي شأن دون أن يقلّلوا من فضل علماء الأمصار، فالفضل لا ينهض به غير قارئ ثاقب ولغوي ضليع مثل أبي عمرو بن العلاء ويعقوب الحضرمي اللذين انطلقا من تراث لغوي ضخم، وأفادا من لغة القرآن الكريم فكانا عِلْيّة القراء على مدارسة كتاب الله لأنّه مستودع الرّقيّ اللّغويّ وموئل حكمه.

وقفا على تغيّرات صرفيّة رفيعة وألفاظ فرشيّة بديعة ما جعل من قراءتهما وثيقة ثمينة اتّسمت بالأمانة والصّدق، أعطى لها أهل الإقراء أهميّة لغويّة كبيرة، واستمدّ منها اللّغويّون مادتهم، وبنى الصّرفيون أحكامهم، فأصبح لزامًا على المتلقي أن يغوص في قراءتهما لاستخراج الدّرّة التي تضمنها فرشهما.

♥جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر، الجزائر، البريد الإلكتروني:
abdelkader.bemfetta@univ-mascara.dz (المؤلّف المرسل).

إنّها جوهرة منيرة لا يملّ منها المتلقي لما فيها من علم صاف، وخواطر لطيفة وبراعة في التّحليل ترسم نباهة الشّيخين على حقيقتها.

الكلمات المفتاحيّة: الألفاظ الفرشيّة؛ التّغيّرات الصّرفيّة؛ لغة القرآن؛ علم القراءات.

Abstract: From a careful reading of the reading movement, we find that the Basrans wanted their readers to appear of importance without diminishing the merit of the scholars of the regions. Al-Karim, so they were the readers to study the book of God because it is the repository of linguistic sophistication and the habitat of its wisdom.

They depended on fine morphological changes and exquisite brush words, which made their reading a valuable document characterized by honesty and honesty.

It is an enlightening jewel that the recipient does not get tired of because of its pure knowledge, gentle thoughts and ingenuity in analysis that draws the ingenuity of the two sheikhs for what it really is.

Keywords: phrasal verbs morphological changes; Quran language; the science of readings.

1. مقدّمة: أكدّ القارئان على أهميّة علم القراءات، وبذلك نشطت الحركة القرائيّة التي شملت الجوانب اللّغويّة وعلاقاتها بالفرش، وفي القرآن تعابير صرفيّة ورد فيها ذكر لأبنيّة الأسماء والأفعال، وقد نجح الشّيخان ببصيرة نافذة من إدراكها، فوضعا المبادئ الأساسيّة التي قامت عليها العلاقة بين التّغيرات الصّرفيّة وفرشهما ومن هذه المبادئ المعرفة الدّقيقة لأصول اللّغة المكنونة في القرآن الكريم، وانتقاء الشّواهد والمحفوظات المسموعة من أفواه العرب في البوادي.

تأثّرًا بالجوّ العلمي بالبصرة، فتفرّدا في مسائل صرفيّة معيّنة لهما قياس فيها لا يخرجان من مدرسة البصرة التي كانت تشكّل جبهة موحّدة بالرّغم من وجود إبداعات شخصيّة بين علمائها على نحو ما هو موجود بين القارئين. فعقلهما الفعّال سمح لهما أن يتغلغلا في سرّة الأبنيّة الصّرفيّة لإنشاء علاقة بين التّغيرات الصّرفيّة والألفاظ الفرشيّة، يتحركان بقوّة كبيرة ومريحة لا يشوبها الاضطراب.

واتّبعت في هذا البحث المنهج الوصفي التّحليلي للوقوف على مظاهر التّفاعل المنطقي بين التّغيرات الصّرفيّة والألفاظ الفرشيّة لدى البَصْرِيَيْن، لما لهما من تأثير على ذهنيّة المتلقي، لا يقف اعتمادهما على القرآن الكريم في بناء هذه العلاقة وترصينها، بل نهلا من ذخيرتهم اللّغويّة، فكان يحلو لهما أن يحقّقا البراعة في صورة الفرش لتغدو قراءتهما نافذة في النّفوس.

السّؤال المطروح: هل تمكّن البصريان بهمّتهما العلميّة من التّعمّق في تجليّة علاقة التّغيرات الفرشيّة بالألفاظ الفرشيّة بالاتّكاء على استحضار مخزون حافظتهما؟

2. مفهوم الفرش:

1.2 لغة: جاء في قاموس المحيط في مادة (فَرَشَ: فَرْشاً وفِراشاً: بَسَطَهُ وفَرَشَهُ أمراً: أَوْسَعَهُ إيَّاهُ. وهوَ كَرِيمُ المَفَارِشِ: يَتَزَوَّجُ الكَرائِمَ. والفَرْشُ: المَفْرُوشُ من مَتاعِ البَيْتِ، والزَّرْعُ إذا فُرِشَ، والفضاء الواسع، والمَوْضِعُ يَكْثُرُ فيهِ النّباتُ وصِغَارُ الإبِلِ، ومنه: ﴿ومن الأَنْعَامِ حَمُولَةً وفَرْشاً﴾ (الأنعام142)، والدّقُّ الصّغَارُ من الشّجَرِ والحَطَبِ وعِرْقَانِ أَخْضَرَانِ تَحْتَ اللِّسَانِ، وبِالكَسر: ما يُفْرَشُ ج: فُرُشٌ، وزَوْجَةُ الرّجُلِ، قيلَ: ومنه: ﴿وفُرُشٍ مَرْفوعَةٍ﴾ (الواقعة34) ومَوْقِعُ اللِّسَانِ في قَعْرِ الفَمِ. هو حَسَنُ الفِرْشَةِ، بالكسر، أيْ: الهَيْئَةِ. وما أَفْرَشَ عنه: ما أَقْلَعَ. وأَفْرَشَهُ: أَساءَ القَولَ فيه، واغْتابَهُ، وأَعْطَاهُ فَرْشاً من الإبِلِ والسّيفَ: رَقَّقَهُ وأَرْهَفَهُ، وفلاناً بِساطاً: بَسَطَهُ له، كفَرَشَهُ فَرْشاً وفَرَّشَهُ تَفْرِيشاً

والمكانُ: كَثُرَ فِراشُهُ. وتَفْريشُ الدّارِ: تبْليطُها. والمُفَرَّشُ: الزّرْعُ إذا انبسطَ. وفَرَّشَ الطّائرُ تَفْريشاً: رفرف على الشّيء، كتفرَّش. وافْتَرَشَهُ: وَطِئَهُ، وذِراعَيْهِ: بَسَطَهُما على الأرْضِ، وفُلاناً: غَلَبَهُ وصَرَعَهُ، وعِرْضَه: اسْتَباحَهُ بالوَقيعَةِ فيهِ والشّيءُ: اتْبَسَطَ، وأَثَرَهُ: قفاهُ، ولِسانَهُ: تَكَلَّمَ كيفَ شاء، والمالَ: اغْتَصَبَهُ)[1].

وفي تاج العروس: (ومن المجاز: الفرش: الكذب، وقد فرش، إذا كذب ويقال كم تفرش، أي كم تكذب، وقال أبو عمرو: الفراش: موقع اللسان في قعر الفم وقيل في أسفل الحنك، وقيل فراش اللسان: الجلدة الخشناء التي تكون أصولا للأسنان العليا. وافترش ذراعيه: بسطهما على الارض، وفي الحديث: (نهى في الصّلاة عن افتراش السّبع) وهو أن يبسط ذراعيه في السّجود ولا يقلهما ويرفعهما عن الأرض إذا سجد كما يفترش الذّئب والكلب ذراعيه ويبسطهما)[2].

2 . 2 اصطلاحا: قال أبو شامة (665 ه): (القراء يسمونه ما قل دوره من الحروف، فرشا، لانتشاره، فكأنه انفرش إذ كانت الأصول ينسحب حكم الواحد منها على الجميع. وسماه بعضهم: الفروع على مقابلة الأصول، ويأتي في الفرش مواضع مطردة حيث وقعت وهي بالأصول أشبه منها بالفرش.)[3] وعرّفه الضّباع:(ما يذكر في السّور من كيفيّة قراءة كلّ كلمة قرآنيّة مختلف فيها بين القراء مع عزو كلّ قراءة إلى صاحبها ويسمى فرش الحروف وسماه بعضهم بالفروع مقابلة للأصول)[4].

من نماذج الفرش قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مقبوضة﴾ (البقرة283) (قرأ نافع وعاصم وحمزة والكسائي وابن عامر فرهان وقرأ ابن كثير وأبو عمرو فرُهُن.)[5] "فرِهَانٌ" جمع كثرة مفرده رهْن على وزن فعْل كثوب وثياب وكعب وكعاب ومعناه الحبس قال تعالى:﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (المدثر38) وفي لغة العرب معناه الحبس قال زهير:[6]

وَفارَقَتكَ بِرَهنٍ لا فِكاكَ لَهُ *** يَومَ الوِداعِ فَأَمسى الرّهنُ قَد غَلِقا

(وقرأ ابن كثير وأبو عمرو (رُهُن) بضم الرّاء والهاء) حجتهما جمع رَهْن كسَقْف وسُقُف فقد ورد جمع رَهْن رُهُن في شعر الأعشى: [7]

آلَيْتُ لا أُعْطِيهِ مِن أبْنائِنا *** رُهُنًا فَنُفْسِدَهم كَمَن قَدْ أفْسَدا

قدّم التّعريف اللّغويّ ذخيرة لغويّة جامعة، شعّ منها هذا الجذر الأريج وأظهر صاحباه قوة خارقة تدلّ على سدادهما في التّعامل مع رقيّه اللّغويّ وانشغلا بجوهر المادة اللّغويّة وتكوينها، أمّا الاصطلاحي فوطّد شرف علم القراءات بغيّة إنمائه وإنارة العقول، فاستوعبا صاحباه المعرفة القرائيّة، وهضما فلكه لإنارة النّزعة العلميّة في قرائح طلبة العلم.

3. التّفرّد القرائي للتّغيرات الصّرفيّة لدى كلّ قارئ: أضاف القارئان إضافات قيّمة إلى الحركة القرائيّة التي تعدّ مستودعا من المستودعات التي اكتنزت ثراء فرشيا لوّنت قراءتهما بألوان خاصّة، ودفعتهما إلى انتهاج منهج قرائي اختيرت له ألفاظ تحمل التّفاعل الحقيقي مع التّغيرات الصّرفيّة، تبرز في سياق علمي يعطيها القدرة على ردع الشّاذ، ويمنحها الأفضليّة في الثّبات وعدم الانفكاك.

استطاعا أن يقدّما صفحة متكاملة عن جهودهما ليأمنا على نفسهما ويبعدا الطّعن والتّجريح، ويؤكّدا التّزامهما بالقرآن الكريم، فتجسّدت صور هذا الالتزام في علاقة التّغيرات الصّرفيّة بالألفاظ الفرشيّة، تحرّك قراءتها تحريكا يدخل عليها التّجديد، وتمكّنها من التّعبير عن المدلولات التي تحملها العلاقة. فأخذت هذه القراءة الفرشيّة جوانب محسوسة من حياتهما العلميّة، فأعاراها قدرا كبيرا من مشاغلهما، لأنّ لها معاييرها الخاصّة لاتّصالها المستمر بكتاب الله وسنّة الفصحاء، وخضوعهما لأجواء لغويّة أصيلة، هذا نهج القارئين ومن الإنصاف يقتضينا أن نقف عند صورة كل واحد منهما.

1 . أبو عمرو بن العلاء (154 هـ): أظهر الشّيخ قوّة الشّد التي ملكت عليه بواعث الإبداع في القراءة القرآنيّة، فردّدها بكلّ إخلاص وعبّر عنها بكلّ صدق، توسّم فيها المهمّة الموحيّة وهو في رحاب القرآن الكريم فارتمى في

جنباته يستلهم منه الارتقاء اللّغويّ، فتتوقّد في نفسه نوازع الإقراء ويتحمّل تبعات الالتزام، وأخذ على نفسه كلّ مأخذ يحقّق الفرش الصّائب وقدرة التّعامل مع التّغيرات الصّرفيّة، يفرد الصّورة الواضحة لما أدرك من معطيات متفاعلة بينها وقد انفرد بمجموعة من التّغيرات الصّرفيّة تمتدّ جذورها امتداد الزّمن اللّغويّ يرعى أصولها القرآن الكريم. أهمّيتها لا تقتصر على الكميّة القرائيّة التي احتواه فرشه إنّما وثبته الصّرفيّة التي كشفت عن نباهته، وتعدّ ذخيرة من ذخائر التّراث القرائي.

ومن نماذج التّغيرات الصّرفيّة قوله تعالى: ﴿مَا اَللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (البقرة148) (قرأ أبو عمرو بالغيب والباقون بالخطاب.)[8] ربطها بالفعل (يعلمون) قبلها في قوله ﴿ وَإِنَّ الذينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ﴾ هناك تماثل الكلام على لفظ الغيبة مادام الحديث عن اليهود، أمّا القراءة بالتّاء مجاراة فعلى قوله تعالى (وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ.

وفي قوله تعالى: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمُ أَبْوَٰبُ السّمَاءِ﴾ (الأعراف39) (قرأ أبو عمرو (لا تُفْتَحُ) بالتّاء خفيفة ساكنة الفاء)[9].

القراءة بالتّاء على تأنيث(الأبواب) كما قال تعالى:﴿ إِذَا جَاءُوهَا فُتِّحَت اَبْوَٰبُهَا﴾ (الزّمر68) والتّخفيف إجراء على قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ﴾ (الأنعام45) وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابا مِّنَ السّمَاءِ﴾ (الحجر45) وهذا الفعل يفيد التّكثير والتّقليل، ويقصد به مرة واحدة أمّا قراءة تشديد التّاء فللتكثير أي مرة بعد مرة (وهو مبالغة في الفتح، فيفيد تحقيق نفي الفتح لهم، أو أشير بتلك المبالغة إلى أنّ المنفي فتح مخصوص والفتح الذي يفتح للمؤمنين، وهو فتح قوي، فتكون تلك الإشارة زيادة في نكايتهم)[10].

وفي قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنبيٍّ اَنْ يَّكُونَ لَهُ أَسْرىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ في اِلَارْضِ﴾ (الأنفال68) (قرأ أبو عمرو(الأُسَارى) على وزن فعالى، والباقون (أَسْرىٰ) على

وزن فعلى.)[11] فالحجّة في ذلك كلمة كسالى قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى﴾ (النّساء 142) (فكُسَالى) جمع كسلان وهذا الوزن يدل على عدم القدرة والنّشاط، و(أُسَارى) جمع أسير (إنّما ضموا الهمزة من أسارى وكان أصلها الفتح كنديم وقديم [كما ضمت الكاف والسّين في كُسَالى وسُكارى] وكان الأصل فيهما الفتح عَطْشان وعَطَشان.)[12] أمّا قراءة (سَكْرَى) فعلى وزن فَعْلَى مفرده سكران على وزن فعلان كعطشان وعطشى وهذه البنيّة تدل على علّة وزمانة من باب المريض والصّريع، ويجوز أن يكون مفرده سَكِرا كهرِم وهرمى (وإنّما قالوا: مرضى وهلكى، وموتى، وجرحى وأشباه ذلك لأنّ ذلك أمر يبتلون به، وأدخلوا فيه وهم له كارهون، وأصيبوا به، فلمّا كان المعنى معنى المفعول كسّروه على هذا المعنى)[13].

وفي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصّور﴾ (مريم100) (قرا أبو عمرو بالنّون وفتحها وضم الفاء وقرأ الباقون بالياء وضمها وفتح الفاء.)[14] الفعل (يَنفَخُ) مبنيا للفاعل ونون العظمة العائدة على الله الذي أخبر عن نفسه أنّه الحاكم والآمر إسرافيل كما هو الشّأن في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّي الَانفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ (الزّمر39) المتوفِّي ملك الموت، ما يعزّز هذه القراءة ما ورد بعده ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذ زُرْقا﴾ أمّا القراءة بالياء الغيبة فمبنيّة للمجهول يقصد به إسرافيل الذي ينفخ في الصّور (النّافخ [عبد من عياد الله المأمور بالنّفخ، فالآمر الله والنّافخ] هو المأمور)[15].

وفي قوله تعالى: ﴿وَكَانَ لَهُ ثُمُر﴾ (الكهف34) (قرا أبو عمرو: (ثُمْرٌ) و(بِثُمْرِهِ) بضم الثّاء وسكون الميم.)[16](فثُمْر) جمع (ثَمَرَة) وإسكان الميم للتخفيف (بدَنَة لبُدْنٍ، وخَشَبة وخُشْبٍ، وثَمَرَةٍ وثُمرٍ)[17] ويجوز إسكان العين كعُنق وتكون مفردة لا جمعًا، ويقصد بها الأموال. أمّا القراءة بالضّم فجمع ثمار يفيد التّكثير وهو المال الكثير يضمّ المزارع والبساتين والأنعام قال النّابغة:[18]

فَلَمّا رَأى أَن ثَمَّرَ اللَهُ مالَهُ *** وَأَثَّلَ مَوجوداً وَسَدَّ مَفاقِرَه

ومن قرأ بالفتح كعاصم فهو جمع (ثَمَرَة) من باب (بَقَرَة بَقَر).

وفي قوله تعالى: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُومِنِينَ﴾ (الحشر2) (قرأ أبو عمرو يخربون مشدّداً وباقي السّبعة مخفّفاً.)[19] (يخرّبون) مضارع(خرّب) على معنى التّكثير ومعناه يهدمون، أمّا القراءة بالتّخفيف فيقصد بها يرحلون من الفعل أخرب قال أبو عمرو: (خرّب بالتّشديد: هدّم وأفسد، وأخرب بالهمزة: ترك الموضع خرابا وذهب عنه)[20].

بلع أبو عمرو من علو القدر وجلالة العلم مبلغا كبيرا إلى أن عهدت إليه القراءة بالبصرة، تعدّدت التّغيرات الصّرفيّة ومراميها فائدة فرشه الذي عقده إلى كلّ ما يمت بصلة إلى الدّرس الصّرفي في القرآن الكريم، وما يوافق معايير اللّغة، فانبرى بما له من يد طولى في اللّغة بإضافات على الصّرف، من حيث جلاء ما بقي غامضا حتى عهده. خلا فرشه في التّغيرات الصّرفيّة من السّقط وامتاز بالدّقّة والضّبط إلاّ فيما نَدُر، فصداه كان عميقا وقف على قدم ثابتة وراسخة كسّرت الجمود القرائي وأبعدت الفجوات لتبعث الحركة القرائيّة دون معوّقات.

يعقوب الحضرمي (205 هـ): كان يعقوب دريّا وملمًّا في معرفة الصّرف العربي إلماما كافيا، أنشد في ذهنه صورة عن الدّرس الصّرفي في القرآن الكريم، فكان مخزونه هائلا في ملكته، جعله تحفة لفرشه، هذّبه في إبداع علاقة بين التّغيرات الصّرفيّة والألفاظ الفرشيّة في أرقى الإبداع مع دلالة المعنى، ويبدو أثر القرآن في إحاطته بالموضوع إحاطة لا تترك شاردة ولا واردة، ولا عجب إن كان القارئ على اطّلاع واع لما أنتجته قرائح الفصحاء يساعده ذلك في إتقانه التّام لأسرار الصّرف ما يشفي غُلَّته ويأخذ ببيده إلى نتائج تسهم في إعطاء العلاقة بين التّغيرات الصّرفيّة والألفاظ الفرشيّة حقّها في تاريخ علم القراءات بإخلاص وبعيدا عن الأهواء.

من التّغيرات الصّرفيّة التي انفرد بها يعقوب ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ بَصِيرُ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ (البقرة95) قرأ (يعقوب (يَعْمَلُونَ) بالخطاب والباقون بالغيب)[21] هنا الانصراف من الإخبار إلى الخطاب وفيها الالتّفات، أمّا من قرأ بالياء فعطفا على الكلام السّابق.

وفي قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقٰيٰة﴾ (آل عمران28) قرأ (يعقوب (تقيّة) بفتح التّاء، وكسر القاف، وتشديد الياء)[22] (تقيّة) على وزن فَعِيلَةٍ (والدّليل أنّ يعقوب قرأ «تَقِيّة» وأصل الكلمة [وُقيّة] على وزن (فُعَلَة) فقلبت الياء ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فصارت (وُقاة)، ثم أبدلوا من الواو تاء كما قالوا: (تُجاة) وأصله(وجاه.)[23] أمّا قراءة الجمهور(تُقاة) فهو اسم مصدر الاتقاء، أو مصدر على وزن (فُعَلة) (أصله وُقَيّة فحذفت الواو التي هي فاء الكلمة تبعا لفعل اتّقى إذ قلبت واوه تاء ليأتي إدغامها في تاء الافتعال، ثمّ اتبعوا ذلك باسم مصدره كتُّجاة والتّكْلة والتّوءَدَة والتّخْمة إذ لا وجه لإبدال الفاء تاء في مثل تقاة إلاّ هذا.)[24]

وفي قوله تعالى: ﴿أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطّيْنِ كَهَيْئَةِ الطّيْرِ﴾ (آل عمران48) قرأ (يعقوب (طائرا) في الموضعين)[25] يشاكل اللفظ الثّاني في قوله تعالى: ﴿فَيَكُونُ طٰئِراَ﴾ على التّوحيد التّقدير، أمّا القراءة(طَيْراً) فعلى اسم جمع كصَحْب ورَكْب أو جمع طائر أو مصدر لفعل طار يطير طيراً.

وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمٰتِ اِلْبَرِّ وَالْبَحْر﴾ (الأنعام64) (قرأ يعقوب مخفّفة الجيم ساكنة النّون. وقرأ الباقون بفتح النّون وتشديد الجيم)[26]. تشديد الجيم من الفعل أنجى ينجي وأصل الفعل نجا، ثمّ تعدى بالهمزة لقوله تعالى: ﴿وَإِذَ اَنجَيْنٰكُم مِّنَ اٰلِ فِرْعَوْنَ﴾ (الأعراف141) وقوله كذلك ﴿فَأَنجيٰهُ اُللَّهُ مِنَ النّارِ﴾ (العنكبوت23) أمّا القراءة بالتّشديد فمن الفعل نجّى ينجّي.

وفي قوله تعالى: ﴿فَيَسُبُّواْ اُللَّهَ عَدْواَ بِغَيْرِ عِلْم﴾ (الأنعام109)(قرأ يعقوب (عدُوّاً) بضم العين مع تشديد الواو، وقرأ الباقون بفتح العين وإسكان الدّال مع

تخفيف الواو.)[27] من الفعل عدا عَدْوًا وعدُوّاً على وزن فُعُولا معناه تجاوز مقدار الجور، والنّصب على الحال أو مفعول مطلق أو على أنّه مفعول لأجله كذلك قرأها في قوله تعالى: ﴿بَغْيا وَعَدْواً﴾ (يونس90) أمّا الثّانيّة (عَدْواَ) فمصدر بمعنى العدوان قال أبو الفتح (392 هـ): (العَدْو والعُدُوُّ جميعا: الظّلم والتّعدي لِلحق، ومثلها العدوان والعَداء)[28].

وفي قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسيٰ مِن بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلا جَسَدا﴾ (الأعراف148)(قرأ يعقوب من حَلْيِهِم) بفتح الحاء وسكون اللام.)[29] حُلْي) مفرد(حُلِيّة) مثل تمر وتمرة وقمح وقمحة، ويقصد به الجنس، أمّا القراءة بالضّم فعلى وزن فعول مفرده (حَلْي) مثل ثَدْي وثُدِيّ، (أصله «حَلَوي» فأرادوا إدغام الواو في الياء للتخفيف أبدلوا من ضمة اللام كسرة، ليصح انقلاب الواو إلى الياء، وليصح الإدغام، كما فعلوا في «مرمى»)[30].

وفي قوله تعالى: ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً اَوْ مَغَٰرَٰتٍ اَوْ مُدَّخَلا﴾ (التّوبة57) (قرأ يعقوب (اَوْ مَدْخَلاً)، وقرأ الباقون بضم الميم وفتح الدّال مع تشديدها.)[31] فكلمة (مَدخل) من الفعل دخل يدخل مَدْخلا وهو اسم مكان (وحجّة من فتح الميم فجعله مصدرا لفعل ثلاثي مضمر، دلّ عليه الرّباعي الظّاهر ندخلكم أي: ندخلكم فتدخلون مدخلا أي: دخولا فدخول ومدخل مصدران للثلاثي، بمعنى واحد.)[32] وما يرجّح اسم المكان قرينة (كريم)، ووصف المكان به قال تعالى سبحانه: ﴿وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ (الشّعراء 58) أمّا (مُدَّخَلا) فمن الفعل ادّخل على وزن افتعل، ومفتعل اسم مكان للإدّخال.

وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ السّجْنُ أَحَبُّ﴾ (يوسف33)(قرأ يعقوب بفتح السّين وقرأ الباقون بكسرها.)[33] بالفتح مصدر الفعل سَجَن يَسْجُن سَجْنا أي حبس بمعنى أن أسجن أحبّ ممّا يدعونني إليه، أمّا بالفتح فيقصد به الموضع بمعنى سكني السّجن أحبّ إليّ من ارتكاب المعصيّة.

وفي قوله تعالى ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ الدّنْيا﴾ (طه129)(قرأ يعقوب بفتح[34] الهاء الأولى من (زَهَرَة) وسكنها الباقون.) فهي جمع زَاهر ككافر كَفَرَة وفاجر فَجَرَة، عند البصريين فتحريك الثّاني إذا كان حرفا حلقيا بعد المفتوح قال أبو الفتح: (مذهب أصحابنا في كل شيء من هذا النّحو ممّا فيه حرف حلق ساكن بعد حرف مفتوح: أنّه لا يحرّك إلاّ على أنّه لغة فيه، كالزّهْرة والزّهَرَة، والنّهْر والنّهَر، والشّعْر والشّعَرة فهذه لغات عندهم كالنّشْر والنّشَر، والحَلْب والحلَب، والطّرد والطّرد.)[35] أمّا (زَهْرَةَ) فمفرد زَهْر ويقصد بها الزّينة والبهجة.

الحصيلة الثّريّة التي توصّل إليها يعقوب تكوّنت ببطء طوال الحقبة التي قضاها بين دفتي المصحف، لتؤول إلى الذّخيرة النّهائيّة تكاملت فيها التّغيرات الصّرفيّة والألفاظ الفرشيّة، فقيمتها العلميّة تعود إلى الأسلوب النّاضج الذي استوحاه من ارتوائه وتضلّعه من لغة القرآن الكريم والفصاحة العربيّة.

إنّ التّراصف بين الصّرف والفرش صورة مطابقة لانتعاش الحركة القرائيّة التي بلغت أوجّ عزّها وقتئذ محافظة على قيمة علم القراءات مرسّخة إياه في أذهان أهل الإقراء، فهيهات أن يتوقّف الإبداع فيه لأنّه غير مقطوع الجذور أو عديم الأصالة.

4. **الاتّفاق القرائي بين القارئين:** إنّ لبّ الاتّفاق كامن في طيات الرّقيّ الصّرفي في القرآن الكريم وكلام العرب الطّليق، تمدّهما الكياسة بالتّدقيق الهندسي لفرشهما الذي كشف الأسرار من حيث دورها التّصميمي لقراءتهما. كانت عنايّة القارئين بالتّفاعل المنطقي بين التّغيرات الصّرفيّة والألفاظ الفرشيّة ينبع من طموح ذاتي لديهما ينسجم مع الانتماء المدرسي ومعطيات الواقع المعرفي، والمدّ التّراثي، ولم يكن أمامهما إلا مواصلة العطاء، وترسّم الأساليب الموضوعيّة. كان اتّفاقهما في هذا التّفاعل متشبّثا بالأقيسة اللّغويّة بكلّ صلادة يرفضان فيه الشّاذ من أجل حمل الأمانة اللّغويّة وإيصالها إلى الأجيال القادمة.

قال تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسىٰ هَلۡ اَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِۦ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدا﴾ (الكهف65) (قرأ البصريان(رَشدًا) بفتح الرّاء والشّين وقرأ الباقون بضم الرّاء وإسكان الشّين.)[36] (الرّشَد) من الفعل رَشِد يَرْشَد ضد الزّيغ، ويقصد به هنا الصّلاح في الدّين، فالقراء أجمعوا على الفتح في قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوۡاْ رَشَدا﴾ (الجن14) وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ اَمۡرِنَا رَشَدا﴾ (الكهف10) ولها في العربيّة ما يشبهها مثل البُخْل والبَخَل، الحُزْن والحَزَن، أمّا القراءة بالضّم فمن الفعل رَشَد يَرْشُد، ويراد به الصّلاح قال تعالى:﴿ فَإِنۡ اٰنَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدا﴾ (النّساء6) وهناك كلمات على هذه الصّيغة مثل الرّعب قال تعالى: ﴿سَنُلۡقِي في قُلُوبِ الذينَ كَفَرُواْ الرّعۡبَ﴾ (آل عمران151) وكذلك السّحت قال تعالى:﴿أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِ﴾ (المائدة44) والكلمتان متقاربتان في المعنى.

وفي قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ يَوۡما تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَي اَللَّهِ﴾ (البقرة 280) (قرأ يعقوب وأبو عمرو(ترجعون) مبنياً للفاعل.)[37] فيها نسبة الفعل إلى المخاطبين أي إليه تصيرون، وقد اتّفق القارئان على هذه القراءة المبنيّة للفاعل في عدّة آيات في فعل الرّجوع وما يحمل معناه قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ (البقرة45) وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا لِلهِ وَإِنَّا إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ (البقرة155) وقوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ﴾ (الأعراف28) أمّا القراءة بضم التّاء وفتح الجيم فترجع إلى الله سبحانه وتعالى، وصيغة الفعل ما لم يسم فاعله، وما يؤيّد هذه القراءة قوله تعالى: ﴿وَلَئِن رُّجِعۡتُ إِلَيٰ رَبِّيَ﴾ (فصلت49)لا نستهين بقلّة الاتّفاق القرائي بين الشّيخين فقد صرفا جهودهما على علم واحد أطالا فيه فأتيا بما هو أدقّ وأنفع يغني عشرات الاتفاقات القرائيّة، إذ تعددها يتسبب في السّطحيّة وتكرار الموضوعات ويكثر النّقل والاسترسال في الفرش. أسهما في طرح المسائل طرحا علميا يفضي إلى الاتّساع والإقناع، وينمي القدرة المعرفيّة فبعض القراء لم تعد لهم قراءة التّكثير، فصار يطلب التّقليل، فقلّة الاتفاق لا

يعني انعدام الملكة، وعدم وجود قدرات ناضجة لدى القارئين؛ بل كانت لهما الكياسة والدّربة في إنجاب عدد كبير من الاتّفاق القراءات في التّغيرات الصّرفيّة والألفاظ الفرشيّة، لعلّ الشّيخين اجتنبا الإغراق في التّلاعب بالقياس وتحميل اللّغة ما تحتمل.

5. خاتمة: إنّ فلسفة الرّجلين كشكل راق من أشكال الوعي القرائي المؤسّس على حيويّة الممارسة العلميّة ارتبطت بعلاقة متينة بلغة القرآن وكلام العرب الفصيح مصحوبة بنباهة وحذر من خطر الانزلاق في متاهة اللحن والشّذوذ ومن أهم الخاصيات المميّزة لفلسفتها الوقوف عند التّفاعل بين التّغيرات الصّرفيّة والألفاظ الفرشيّة، فكانا موسوعيين في معارفها، فأبو عمرو بن العلاء كان ملمّا متعمّقا في الاستعمال اللّغويّ، ويعقوب الحضرمي على درايّة بسنّة الفصحاء وعلى هذا النّحو لم يكن بالغريب أن يمتّنا فرشهما في ساحة القراءات وتقويّة فعاليتها.

إنّ التّطرّق إلى إنجازات القارئين بوجهيها الفرشي والصّرفي كأنّه المفتاح المؤسس لعلاقة التّغيرات الصّرفيّة والألفاظ الفرشيّة، ذلك أنّ الإبداعات التي توصّلًا إليها لعبت دورا رائدا في مسار النّهضة القرائيّة.

نتائج:

–أخذ الرّجلان حيّزا من الأهميّة نظرا لنتاجهما القائم على الوعي والفهم استمدّا مشروعيته وجذوره من القرآن الكريم والاستعمال اللّغويّ؛

–تمكّنا من إخصاب قراءتهما حين ربطا بين الفرش والصّرف، كما أنّ إضافاتهما الخاصّة أسهمت بشكل قويّ في وضع أسس عديدة للحركة القرائيّة؛

–جهودهما عبّرت عن مستوى النّضج الذي بلغه عقلهما، وتأثيرهما العميق في البيئة البصريّة، فظلّا مرجعين للحلقات القرائيّة؛

–متّنا التّلازم المنطقي بين التّغيرات الصّرفيّة والألفاظ الفرشيّة وفق نسق خصب أسّس لمعرفة علميّة ناميّة ومتجدّدة ذات أفق مفتوح على الإبداع.

التّوصيات:

-الاهتمام بالتّفرّد القرائي، وتوجبه الباحث إلى الاقتراب من قراءة البصريَيْن؛

-التّقريب بين ملكة السّلف في التّكامل القرائي لتأمين آفاق القراءات القرآنيّة؛

-تقويّة المعجم القرائي وتوظيفه في إعلام النّاشئة بضرورة التّواصل النّوعي الفعّال معه؛

-إقامة تفاعل إيجابي تعليمي مباشر مع هذا العلم يتمركز في شخصيتنا ودفعه لإعطاء السّلطة المطلقة.

6. قائمة المصادر والمراجع:

1. الأعشى (ميمون بن قيس)، الدّيوان مكتبة الآداب بالجماميزت.

2 . البنا (أحمد بن محمد)، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر دار النّدوة الجديد، بيروت.

3. ابن الجزري (أبو الخير محمد)، النّشر في القراءات العشر، دار الكتب العلميّة بيروت.

4 . ابن جني (أبو الفتح عثمان)، المحتسب، تحقيق: علي النّجدي ناصف وعبد الحليم النّجار وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار سزكين، القاهرة ط2 1406.

5 . الدّاني (أ بو عمرو)1436، التيسير في القراءات السّبع، دار الأندلس السّعوديّة ط1 1135.

6 . الزّبيدي، تاج العروس، وزارة الإعلام، مطبعة حكومة، الكويت.

7 . زهير بن أبي سلمى، الدّيوان، شرح علي حسن فاعور، دار الكتب العلميّة، بيروت ط1 1988.

8 . ابن زنجلة، حجة القراءات (عبد الرّحمن بن محمد أبو زرعة)، حجّة القراءات تحقيق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرّسالة، بيروت، ط5 1418.

9 . أبو حيان (محمد بن يوسف بن علي)، البحر المحيط. تحقيق: أجمد عبد الموجود ومحمد معوض، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1 1413.

10 . ابن مجاهد (أبو بكر) السّبعة في القراءات، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف مصر.

11. القيسي (أبو محمد مكي بن أبي طالي)، الكشف عن وجوه القراءات تحقيق: محي الدّين رمضان، مؤسسة الرّسالة، بيروت، ط3 1404.

12 . النّابغة، الدّيوان، تحقيق: أكرم البستاني، دار صادر، بيروت1383.

13 . سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ط3 1408.

14 . السّمين الحلبي، الدّر المصون، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم دمشق 2008.

15 . ابن عاشور (محمد الطّاهر)، التّحرير والتّنوير، تونس: الدّار التّونسيّة للنشر 1984.

16 . الفيرزوآبادي، القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي مؤسّسة الرّسالة بيروت، ط5، 1996.

17 . أبو شامة، إبراز المعاني من حرز الأماني، تحقيق: إبراهيم عطوه عوض، دار الكتب العلميّة بيروت.

18 . ابن خلويّة (أبوعبد الله الحسين بن أحمد) الحجّة في القراءات السّبع تحقيق: عبد العال سالم مكرم، دار الشّروق، بيروت، ط3 1399.

19 . الضّباع علي محمد الضّباع، الإضاءة في بيان أصول القراءة، المكبة الأزهريّة للتراث ط1 1420.

20 . ابن غلبون (أبو الحسن طاهر) (1412)، التّذكرة في القراءات الثّمان تحقيق: أيمن رشدي سويد، جدة ط11412.

الهوامش:

1 . الفيرزوآبادي، القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسّسة الرّسالة، بيروت ط5، 1996م، ص55.

2 . الزّبيدي، تاج العروس، وزارة الإعلام، مطبعة حكومة الكويت، 299/7.

3 . أبو شامة، إبراز المعاني من حرز الأماني، تحقيق: إبراهيم عطوه عوض، دار الكتب العلميّة، بيروت، 319.

4 . الضّباع علي محمد الضّباع، الإضاءة في بيان أصول القراءة، المكبة الأزهريّة للتراث ط 1 1420، ص10.

5 . ابن خلويّة، الحجة في القراءات السّبع، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، دار الشّروق بيروت ط3 1399، ص104.

6 . زهير بن أبي سلمى، الدّيوان، شرح علي حسن فاعور، ط1 دار الكتب العلميّة بيروت 1988 ط1، ص72.

7. الأعشى، الدّيوان، مكتبة الآداب بالجماميزت، ص229.

8. ابن الجزري، النّشر في القراءات العشر، دار الكتب العلميّة، بيروت، 2 /223.

9 . ابن مجاهد، السّبعة في القراءات، تحقيق: شوقي ضيف، مصر: دار المعارف، مصر ص280.

10. ابن عاشور التّحرير والتّنوير، دار التّونسيّة للنشر، تونس 1984، 127/8.

11 . الدّاني، التيسير في القراءات السّبع، دار الأندلس، السّعوديّة ط1 1135، ص369.

12. السّمين الحلبي، الدّر المصون تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم دمشق 2008 481/1.

13 . سيبويه، الكتاب تحقيق: عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجي القاهرة ط3 1408 648/3.

14 . ابن الجزري، النّشر، 322/2.

15 . القيسي، الكشف عن وجوه القراءات، تحقيق: محي الدّين رمضان، مؤسّسة الرّسالة بيروت ط3 1404، 3 /106.

16 . ابن مجاهد، السّبعة، ص 390.

17 . ابن زنجلة، حجة القراءات حجّة القراءات، تحقيق: سعيد الأفغاني، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط5 1416، ص414.

18 . النّابغة، الدّيوان، تحقيق: كرم البستاني، دار صادر، بيروت 1383، ص70.

19. أبو حيان، البحر المحيط، تحقيق: أحمد عبد الموجود ومحمد عوض، دار الكتب العلميّة بيروت ط1 1313،8 242/8.

20 . السّمين الحلبي، در المصون، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم دمشق 2008 279/10.

21 . ابن الجزري، النّشر، 291/2.

22 . البنا، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، بيروت: دار النّدوة الجديد 474/1.

23 ابن زنجلة، حجّة القراءات، ص 160.

24. ابن عاشور، التّحرير، 221،220/3.

25 . ابن الجزري، المنشر، 2/ 240.

26 . ابن غلبون، التّذكرة في القراءات الثّمان، تحقيق: أيمن رشدي سويد، ط1 1412 جدة ص326.

27 . نفس المرجع، ص 331.

28 . ابن جني، المحتسب تحقيق: علي النّجدي ناصف وعبد الحليم النّجار وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار سزكين، القاهرة ط2 1406، 226/1.

29 . ابو حيان، البحر، 390/4.

30 . القيسي، الكشف، 478.477/1.

31 . ابن غلبون، التّذكرة، 358.

32 . مكي القيسي، الكشف عن وجوه القراءات، 386/1.

33 . ابن الجزري، النّشر، 295/2.

34 . ابن غلبون، التّذكرة،436.

35 . ابن جني، المحتسب، 1/ 84.

36 . ابن غلبون، التّذكرة، ص416.

37 . أبو حيان، البحر المحيط،356/2.